مدينة لا تنام

فهد العودة

نصوص

فهد العودة

تدقيق ومراجعة

ماجد مقبل

Twitter:@ MajedAbdr

E-Mail: Mrawan242@hotmail.com

موتُ أبي فاجعةٌ لم تغيّر من ملامحي

لكنها زادت ذكرياتي ذكرياتٍ

ووحدتي أكثر،

كنتَ أكثرَ من أنْ أكتبكَ في كتابٍ يا أبي

رحمكَ الله ..

وجوهنا القديمة

وفي كلّ مرةٍ

أنظرُ إلى وجهي في المرآةِ

يهرب مني !

في بعض الأحيان :

حتى نحنُ نهربُ منا

بحثاً عن وجوهنا القديمة !

ماذا لو بكيتَ لأنكَ أضعتَ وجهك !

ربما لتشكَّلَ لكَ وجهٌ أكثر صدقاً

لكنك أضعف من أنْ تُعالج ملامحَ وجهك !

ما أجملَ أن تقضي ليلةً

مع شخصٍ لا تعرفهُ ولا يعرفك

تجمعكما طاولةٌ ومقعدان

وتتحدثانِ عن وجوهكما الضائعة

ووجوهكما الجديدة التي لا تليقُ بكما

ماذا لو تفتحُ لهُ صندوقَ أسرارك

تُقاسمهُ همّكَ .. تكشفُ له عيبك

وتشكو لهُ الغيابَ الذي كَسَرَ

لونَ قلبكَ قبلَ وجهك !

وتصارحه بهويّتكَ ووطنكَ

وحتى مَسكنكَ الذي تعيشُ فيه بالإيجار

وقبلَ أن ترحلا .. تكنسان المكانَ من بقية

أحاديثكما وهمومكما .. وتتفقان على ألا

تلتقيا إلى الأبد !

صديقٌ في اليد

حينَ تختلفُ معَ مَن تُحب

يستدرُجكَ الطريقُ إلى الصديق

تشعر وكأنّ اللهَ خلقهُ من أجل الضيق

تفتحُ له صفحةَ جرحكَ

تقرأ لهُ قصيدةً عن حُزنك

وتشكو له مرارةَ قلبك

يُلَملمُ شتاتكَ

يُجففُ الدمعَ من رصيفِ عينكَ

ويكنسُ الحزن من قلبك

فيمسحُ على صدرك ..

يُشعركَ بقيمةِ الحبّ والوفاء

دونَ مقابل ..

يرمي بذورَ الفرحِ تحتَ أقدامك

ويخبركَ أنّ الحياةَ لا تزال جميلة

ومهما اشتدّ الألمُ سيبقى دائماً هنالكَ أمل

في بعض الأحيان :

يكونُ صديقكَ .. أجمل من حبيبك

ف ..

صديقٌ في اليد ..

خيرٌ من عشرة أحباب على الشجرةِ !

إننا لا نتلعثم إلا مرتين

نحنُ لا نبكي بقَدْر خيباتنا

بل بقَدْر صَمتِنا

حينَ لا نجدُ تلكَ الكلمات

التي لا نستطيع أن تُترجم مشاعرنا .

أصعبُ مرحلةٍ في بدءِ الكلام

غالباً ما تُصيبك معَ مَن تُحبّ ؛

أنكَ تنسى كيف تُخبرهُ عن الكلام

الذي يموتُ في قلبكَ ويبقى مختبئاً

في صدرك !

تنسى كيفَ تقول لهُ تلكَ الكلمات

التي حفظتها عن ظهر قلب !

تنسى كيف تُترجم مشاعرك ؛

كي تخبرهُ بأنهُ أولُ أحبابك وآخرهم

وأنكَ مسجونٌ خلفَ سياج الحزن

حين لا تراه ..

وأنّ الشوقَ يُفخخكَ كما لو أنكَ

ستنفجرُ من شدّتهِ وتموتُ بنوبةِ شوق !

تنسى كيف تقولُ له : أحبكَ .. أحبك

وأنهُ دواؤك وأنكَ تمرضُ في غيابه

وتُصاب بِنزلة حنين !

إننا حين نلتقي مع مَن نُحبّ

لا نحتاجُ إلى أن نتحدثَ كي نفهمَ بعضنا

إنّ حنجرتنا تُصبح آلةً موسيقية !

ونكتفي فقط بلُغَةِ العيون !

إننا لا نتلعثم إلا مرتين

في الأولى .. حين نكذبُ و نخاف

وفي الثانية .. حين نلتقي مع مَن نُحبه

فحينَ تذهب إلى من تحبّ

كي تخبره عن الحبّ

الذي ينامُ في قلبك،

وينسى فمُكَ الكلام

وينبت على لسانك بستان !

اعلم .. أنكَ بلغتَ من الحبّ عِتياً .

يَنسونك

« البعضُ نحبّهم كي نُفسد حياتنا بهم

إنهم يُفسدون علينا حتى نومنا »

يَنسونكَ كما لو أنهم لا يعرفونك ..

كما لو أنك لم تضحي بالعمر

لأجل يومٍ من رُزنامة أيامهم

ويتركونكَ كما لو أنهم لم يلتقوك !

إنهم لاستفزازِ الخيبةِ وترٌ !

يزرعونَ كلّ شيءٍ جميلٍ

في صدركَ ثم يرحلونَ خِلسةً

دون أن تشعرَ ودونما وداعٍ ..

يتركونك ؛ تحصدُ ما تبقّى منهم

داخلَ ذاكرتك وقلبك

كي تلتهمهم بكلّ مرارةٍ

جرحاً جرحاً .. خيبةً خيبة !

ما أسوأ أولئك الذين لا يجيئونك

إلا حينَ يجيءُ زحامهم

تكنُسُ حشائشَ الحزنِ من قلوبهم

تحملُ وزرهم .. تسمعهم

تبكي معهم وتُجفف دَمعهم

وحين يجيءُ زحامك .. يتركونك

كما لو أنك أول وآخر أعدائهم !

حافي الأمل

قلتُ لهُ لِمَ أراك حافيَ الأمل ..؟

ملأَت الابتسامةُ وجهه

ثمّ قال : أنا حافٍ من كلّ شيءٍ

أما الأملُ فقد أُحيلَ إلى التقاعد

أنْ لا يُعترَفَ بكَ دَولياً

فأنتَ منفيٌ لإشعارٍ آخر

وأنْ لا يُعترَفَ بكَ ميلادياً

فأنتَ ميتٌ على قيدِ الحياة !

أما الرغيف ..

فهو يُولدُ من رحمِ الرصيف

أما نحنُ فقد أنجبَتْنا الشوارعُ صُدفةً

فالوطنُ لا يَرغَبُنا ليحملَ أسامينا

رغمَ أني نسيتُ ذراعي في ساحةِ الحرب

ورحتُ أركضُ خلفَ النجاةِ بذراعٍ يتيمة ؛

وحدَهم الشهداءُ يشهدونَ على ذلك

ووحدَها شجرةُ العائلةِ تأوينا !

قلت له : آسفٌ يا صديقي

وآسفٌ جداً على صيغة سؤالي

الآن قل لي : لِمَ أراك حافيَ الوطن ؟!

أحبكِ أمي

وحين كنتُ طفلاً

كنت أعلمُ يا أمي

أنَ صدركِ بيتُ الأمان

حينَ أفزعُ من حلمٍ

حاولَ أنْ يقتلني

فتأخذيني من صدري

إلى صدركِ ..

« في صدر أمك

قلبك يُصبح أكثر نبضاً »

في وسط الزحام

وركام الأقدام والوجوه

أركضُ خلفكِ يا أمي ..

وأمسكُ طرف عباءتكِ

خوفاً من صوتٍ يُدوّي

وسط الظلام ..

والآنَ يا أمي ..

صرتُ رجلاً

لا يخشى على نفسه

أكثرَ من أنْ يَخشى عليكِ ..

الذاكرة مدينة لا تنام

ممتلئُ الذاكرة

باللحظاتِ المكسورة

والضحكاتِ المسروقة

والكلماتِ المفقودة

والمواعيد القديمة

وفي كلّ صباحِ

أكون وحدي مستلقِ

تحت أفياءِ الذاكرة

أبحثُ عن نبتةِ لقاء !

وفي المساء :

حين يَنضجُ حنينُ الذاكرة

ثمةَ اثنان يظهران ويرقصان

ويمرَحان ويتعانقان

- كانا أنا وأنتِ ذاتَ حُب -

وفي كلّ يومٍ ..

هذا هو سيناريو حياتي معها

وليس ثمة عاملٍ للذاكرةِ

كي يَكنسَ الشظايا المنثورة ؛

إنّ الذاكرةَ مدينةٌ لا تنام !

كيف

كيف لذكرى صغيرةٍ أنْ تُدمينا ؟

وكيف لِحَفنة حنينٍ أنْ تُبكينا ؟

كيف ننتظرُ مَن لا ينتظرنا

وننسى من لا ينسانا !

كيف نُجبر قلوبَ من يكسروننا

ونكسرُ قلوب من يجبروننا !

كيف نهتمّ بقلوبٍ تبيعنا

ونُهمل قلوباً تشترينا !

وكيف نحبّ مَن لا يحبوننا !

ونُبكي من لا يُبكينا ؟

أسلاك الهاتف

- منذ أن رأينا بعضنا

وقعنا في الحبّ

فكنا شيئاً جميلاً

يُشبه أحلامَ الطفولة

- كُنا نتبادل الحب

عن طريق النظرات

العابرةِ للقارات

- كُنا حينَ نشتاق لبعضنا

نبعث الابتسامات

- لم نكن نحتفظ بصور

كلانا يرسمُ الآخرَ في خياله

وحين نريدُ أنْ نرى بعضنا

نُغمض أعيننا ونضع أيدينا

على قلوبنا ونشعر أننا معاً

- كُنا نخجل حتى من تبادل الرسائل

نخجلُ حتى أن نُلقّنَ الصغار بعض

الكلمات كي يوصلونها إلينا ..

هكذا كُنا نفعل عندما كُنا نعني

الحب الحقيقي - العذري

إما أن تكوني زوجتي وأكون زوجكِ

أمام الله والملأ وإلا فلا الحب دون ذلك

أما الآن ما الحب ؟!

غير وعودٍ من كذب

وحبٍ من كذب

وكلامٍ رخيصٍ

وعلاقةٍ لا تُرضي الربّ

- فيا أصدقائي ..

الحب عبر أسلاك الهاتف لا يصنعُ زواجاً !

شكراً للغرباء لطالما كانوا كالفوانيس

يضيئون عتمتنا ويرشدوننا

ونحن نبحث عن أنفسنا في قلوب من نحبّ ؛ والطرقات .

الطريق

(١)

قبلَ خروجي من المنزل

أرمي كلّ شيءٍ في غرفتي

هاتفي - ساعتي - حتى قلبي

وحدَها الذاكرة لا تستطيع رميها !

وأنا في الطريق تُطلّين على جدران المنازل

كشيءٍ بارز ؛ كلافتة « ممنوع الاقتراب »

فأعبر .. أعبرُ إلى الجدران أتحسسها

وأصرخُ بملء الحنجرة :

سحقاً لإيقاظ ذاكرتي ..!

كلما اتجهتُ نحوكِ باحثاً عنكِ

يبتلعني الشارع

ويضعني في الطريق الخطأ

فهل ثمّة أحذية للحظ تُباع !

فالطريقُ إليكِ

يحتاج إلى من يدله على الطريق !

(٢)

بملء الحزن ..

أبحثُ عن طريقٍ

يأخذني إليكِ

يُصافح حزني

ويدسّ في جيبِ قلبي بوصلة

ويخبرني أنّ زمن التيه انتهى !

لا يزال الطريق يُضللني

أركلهُ فيجرحني !

وحزني .. آه من حزني

لا يزال يشربُ من أحداق عيني

ويقضمُ قلبي كرغيف !

لم يعد بي ما يملأُ فمَ الحزن

سوى أنني قسيتُ فرَميتُ لهُ الحجارة !

أما قدَمَيّ ..

لم تهتديا بعد إليكِ

كلما وطَأَتا الطريقَ

في مُحاوَلَةِ الوصول إليكِ

ينتهي بهما الشارع إلى حائطِ

كَتَبَ عليهِ ذاتَ يوم « عاشقٌ »

أرِحْ قدمَيكَ فلا يزال هُناك متسعاً

للبحث !!

في بعض الأحيان :

حتى الطريق يحتاج إلى رشوة !

(٣)

نحنُ لا نضلّ

ولكن ثمة من يُضللنا

يرمينا في دهاليز الضياع

دونَ أن يترك لنا خارطة الطريق

يمسح وجهَ المدينة

ويُمحي أثرهُ من عرض الطريق

ويُلبس لافتات الطريق قناعاً

ويرمي حجراً على أعمدةِ الإنارة

ويحملُ من ظهر الرصيف

مقاعدَ الراحة ، ويكسرُ صنبورَ الماء

كلّ هذا كي يهلكنا في المضيّ قدماً

حين تسيرُ ولا ترى ضالتكَ

تدنو إليكَ من بين الوجوه المكتظة

اعلم أنك بلغتَ من الضياع مدينة !

فإما أنْ تُغير طريقكَ ..

أو أن تنسى ضالتك

فالركضُ خلفَ السراب

تعبٌ إضافي لأقدامك

المسكينة

أما النسيان يا صديقي

قد تُفارق الحياة

ولا يُفارقك .

وأما الطريق ...

لا يزال يرتدي أكثر من وجه !

(٤)

الآن في الطريق .. نعم إليكِ

في الشارع الذي التقيتكِ به

أول مرة ..

أبكي بكل ما أوتيتُ من دمع

لأنّ ذكرى طائشةً من مكانٍ ما

ضلّت طريقها إليّ

آه لو بالإمكان ..

غسلُ وجهِ المكان

أو تزيينه بشيءٍ من « الماكياج »

حتى أجهلهُ كي لا تستدرجني

ذاكرة المكان

للحظات كنا معاً

رقصنا معاً

وبكينا معاً .. وافترقنا

وكلانا في طريق مختلف !

قل للطريق : حين يُطيلُ التيه على أحدهم

لا ينسَ أن يكتب على حائطه

« عابرٌ في طريق .. خيرٌ من ألف صديق »

أو ينسَ المعنى الحقيقي ويصيرَ ودوداً

ويكتبُ للضائعين / هذا ليس مكانكم الصحيح للبحث

لا ذنب لأقدامنا كي نُجبرها بما يُرهقها

ففي الخمسين من عُمرك تُدرك قيمتها

حين تضعها في دلوٍ مملوءٍ بماءٍ دافئ

وشيئاً من الملح وأنت تشكرها لأنها

حملتكَ .. وتحملت مشيكَ في مهب الضياع !

قل للطريق ..

بل اصرخ في وجهه

أنّ الأرصفة لا تتذكر وجوه المارة !

إن وجدت نفسك تمشي

في طريق لا ينتهي

أَدْرِكْ حقيقةً واحدة ..

أنك لم تُجفف السراب بعد .

(٥)

لا مكان لك ..

حتى الطريق نسى مهنته في الحياة

فصارَ يركلني على جوانبه كالميت

رغم أني أحترمه وأزيلُ عنه القمامة

كُلما رأيتُ صدره يتسخ بنفايات المارة

وأعقاب سجائر الغرباء !

وكُلما رجعت إلى البيت حيّاً

رميتُ عليه وردة

وصارَ يرميني

في متاهات المدينة !

فليس ثمة طريق حقيقي

يوصلني إلى مَن أريد غير

الكتابة ..

تُصبح الكتابة طريقاً ..

حين تضللك شوارع الذاكرة !

فثمة شبه كبير

بين الكتابة والطريق

كلاهما يؤديان نفس المهنة

الفرق الوحيد بينهما :

أن الكتابة : تُمارسها في مخدعك

تتساءل .. تبحث .. تلهث .. تبكي .. تشكو

بين أزقة الصفحات بحثاً عن أجوبةٍ تَشفي

غليل قلبك .. ذاكرتك .. صدرك .. حتى دمعك !

أما الطريق : كما يقولُ الغرباءُ

دربٌ تمشيه وأنتَ تتسلح أمَلكَ / حبك

دون أن تدرك إلى أين يمكن أن يأخذك !

لا تحزن

لا تحزن ..

من سوء أصدقائك

حين يتركونك

فأنت تجعلهم

ينتقمون منك

مرتين :

الأولى : حين خذلوك؟

والثانية : حين ودّعوك؟

فقط ابتسم وتعلّم من خيبتك !

حين أقرأ الصدق في وجوه الغُرباء ..

أحزنُ كثيراً لأنني أقرأ الكذب في وجوه الأصدقاء

الفقد

الفقد أن ..

تجلس وحدكَ عارياً من كلّ شيء

من أصدقاءٍ غادروك وأحبابٍ نسوك

ولا تزال وحدك ..

تُجفف الحنين على شرفة الانتظار

وتلوح لِشخص صدّ عنكَ ونسى

أن ينظر للخلف

الفقد أن ..

أنْ تطيلَ المكوث على رصيف الانتظار

وتنتظر شخصاً لطالما أضاع الطريق إليك

وهو يرتدي أحذية الغياب..

الفقد أن ..

أن تُفكر بصمت

وتبكي بصمت

وتصرخ من أعماق قلبك ..

تُنادي شخصاً أخبرك

أنه سيعود ذاتَ لحظةٍ

وضاع العمر ولم يعد !

الفقد أن ..

أن تعيش وأنت تنتظر شيئاً

وهو على ساحة الموت

أن تكون ذاك المُحارب

الذي دخل حرب الحُب

لأجل حبيب لم يعلم أنه سيخذله !

الفقد أن ..

أن تجلسَ على رصيفٍ مسكون بالوحدة،

وتحملَ معكَ قلباً لِشخص آخر

وذاكرة لا تحمل إلا وجهاً لا يزالُ يُعانق الغياب.

الفقد أن ..

أن تنتظر شيئاً لن يعود

وتحلم بِأحلام لا تنتمي إليك

واسمِ أصبح غير مُصرحٍ لك

بمناداتهِ « رفيقي .. حبيبي »

أو حتى صديقي !

الفقد أن ..

تجلس في عزلتك ترتب شوقك

وتسمع معزوفة أنينك في أقصى الفؤاد

تنثرُ ذكرياتك على قلبك كي تسد فم الجرح

الذي نسى أن يغلقه منذُ الفراق

الفقد ..

بل قمةُ الفقد .. أن يُناديني الآخرون « فقداً » !

لا تخن ثقتها

امرأة وثقت بك
أهدتك قلبها وفكرها وصورها
وآخر تحركاتها وكل أسرارها

وأقسمت لك أنها باتت ليلة البارحة
تبكي من فرط الشوق والحب
وأنها اتخذت الوسادة جسداً
تُخفف به لوعة حنينها إليك

وأخبرتك أنها تضع صورتك
تحت رأسها وتنام كي تحلم بك
وسجلت صوتك في لحظةٍ
مسروقة كي تسمعه على الدوام

صدّقها إن قالت لك أنها نادت

شخصاً ما باسمك فاحمرّ وجهها

أحياناً يفضحنا الحنين رغماً عنا

يحدث أن تُنادي شخصاً باسم ليس لك

لا تخن ثقتها ..

قلة هم مَن يهتمون بك ويحبونك ويكونون إلى جانبك

قلة هم مَن يشعرونك بقيمتك حتى ولو كانوا أقرب الناس

قلة هم مَن يُضحّون بأوقاتهم وأفراحهم كي يكونوا إلى جانبك

قلة هم مَن يبكون لأجل آلامك وأحزانك وحتى فشلك

قلة هم مَن يحملونك من ظهر الرصيف إلى صدورهم

قلة هم مَن يشترونك بمشاعرهم وأعمارهم وأفعالهم

قلة هم مَن يبكون معك ويبكون لأجلك ويبكون عليك

كن لها آخر رجل في الأرض

كن صديقها قبل أن تكون حبيبها

لا تُهدِ لها هدية في يوم ميلادها

وتصحَبُها إلى حفلة عشاءٍ فاخرة

وتشاهد معها فيلماً سينمائياً وتكتفي

فالمرأة حين تقع في حبِ رجلٍ ما

لم تفكر يوماً بكلّ هذه الأشياء

بل كلّ أحلامها أن تجد رجلاً

يجمعُ وجهها حين يبعثره الحزن

أنْ تشعرَ بأنّ ثمة صدرٍ آمنٍ

تستطيع أن تنام عليه حين تشعر بالارتياع

أن تعلم بأنّ هناك أذناً تستمع إلى كل مشاكلها

ففي الحبّ لا تتعاطَ مع عقل المرأة

أكثر من تعاطيكَ مع قلبها ..

فالعقل - لا يزال - أضعف من أن يفهم عاطفتها.

شيئان لا تفرط بهما

- امرأة وثقت بك

- صديق لم يخذلك

من عجائب الحب،

أنهم يستطيعون سرقة القلب من داخل الجسد،

ويتركونا أحياء ..!

في الغياب أجمل

كيف للمشاعر أن تنضج

دون سابق كلامٍ أو موقف ؟!

وكيف للحب أن يُخلق فجأة !؟

دون استعدادٍ أو تفكير؟

وحده الحُب يأتينا دون موعد

ووحده الحبيبُ لا يختاره لك أحد

مشكلتنا أننا التقينا صدفة

وافترقنا دون أن نعرف إلى أين !

ماذا لو أننا لم نلتقِ ؟!

البعض ألا نلتقِ بهم أفضل

فهم في الغياب أجمل ..

كان بالإمكان ألا نكون

وألا نُفكر ونتوه

في ميادين الذكريات !

لو أنكِ لم تلوحي ..

لو أنكِ لم تَمرّي

لو أنكِ لم تركضي نحوي

يا حافية المواعيد !

ماذا لو أنكِ حلمٌ في منامي

وسُرِق !

ماذا لو أنكِ حمامة ابتلعها

الغرق !

ماذا لو أنكِ لم تأتِ .. وضيّعَتْكِ

الطرق !

إني لا أخشى من حُب لا يأتي

بل أخشى من ذكرياتٍ لا تموت !

ما ذنب شوارع عُمري

تُبللها دهشة عبوركِ ؟!

وما ذنب رصيفي .. خالٍ

من كلّ المواعيد بعدكِ !

فأين أجد بائعاً للمواعيد ؟!

كي أشتري لي طاولة لقاء !

ما عُدْتُ أعرفُ ..

أيني عنكِ الآن !

وأينكِ عني الآن !

إنها لَمِنَ المرارة

ألا ألتقيكِ إلا في

الكلمات ..

وإنه لَمِنَ الموت

ألا تصلكِ وحدكِ ..

الكلمات !

حالت بيننا القبيلة

كيف السبيلُ إليكِ ..

وبيني وبينكِ التقاليد والوطن

كيف السبيلُ إليكِ ..

وحالت بيننا القبيلة !

كيف أخبرهم ..

أنّ العادات الراسخة لا تجعل

منا أوفياء بل نسخة حديثة

من أولئك الذين فارقوا الحياة !

كيف أخبرهم ..

أن نساء العشيرة لا يصلحن للحب

وأن حبيبتي ليست من دمي ولحمي

بل من قلبي !

كيف أخبرهم ...

أنّ ما يجمعني معكِ

شجرة الحب والقلب !

كيف أخبرهم ...

أن الحياة دبت بنا حين التقينا

وحين بلغت قلوبنا مرحلة الحب

كيف أخبرهم ..

أنكِ حين تبتسمين ينبتُ

في صدري بستان !

وحين تبكين أبكي معكِ

بكل ما أوتيت من دمع !

كيف أخبرهم ...

أنَ قلبي باسمِ قلب ما

وأننا لا نريد شيئاً سوانا !

كيف أخبرهم ...

ألا يربطونا بقلوبٍ لا نرغبها

ولا يكتبون تعاستنا بأيديهم !

أحبكِ ..

وحال بيننا الوطن

أحبكِ ..

وحالت بيننا التقاليد

أحبكِ ..

ومن «حزن» الحظ

حالت بيننا القبيلة !

علمني الحب ..

أنّ الحياة تُصبح أكثر أهمية

حينَ تقع في حبِ امرأةٍ ما

وعلمني الفراغ ..

أن حياة الرجل ناقصة

ومبعثرة حين تخلو من امرأة

وعلمتِني أنتِ ..

أشياء كثيرةً لم أكن

أعرفها .. أو أتخيلها

فعلمني قلبكِ ..

أنّ الحبّ طهر

حين تلعب بي شياطين الأفكار

ولكن ..

لم تخبريني أنني ذات يوم

سأكون عبارة عن إقليم منسي

في قلبكِ .. وأن وجهي سيصيرُ

تُراباً .. وتذروه الرياح.

يا امرأة ..

صنعْتِ حضاراتٍ في أرجاء عقلي ..

أسألكِ المجيء والحب والحياة معاً

فصدركِ مأوى حين تضيق بي الجغرافيا

فلا أُجيد تمثيل الفرح

ولا أجيد صناعة السعادة

فمنذُ غيابكِ وأنا أجيدُ موهبة البُكاء

فصدري حانوت حزن لا يتسوق به

إلا العابرون والغرباء فيبكون ما تيسر

لهم من دمعٍ ثم يرحلون ؛ دون أن يتركوا

لي ابتسامة صغيرة ..

وما يؤلمني ..

أنكِ في كل مرةٍ تقصدين الألم

فتسأليني ما يؤلمك .. وأنتِ ألمي !

فلا تسأليني ..

كل ما في الجرح ..

أنني أحملكِ ولا تحمليني !

يحدث أن تُنادي أحدهم

بقلبك قبل صوتك ثم تبتسم !

بينما أنت توليكَ الأدبار !

فـ ..

أن تُجدد العلاقات القديمة !

كما لو أنك تبني وطناً وَحْدك !

وعيناكِ وطن

وعيناكِ وطن ..

حين أتوه في شوارع المدينة

آه لو استطعت ..

لأهديت للغياب طريقاً وأقداماً !

ما يؤلمني ..

أنكَ في مكانٍ ما

مع شخصٍ ما

وأنا وحيدٌ مع الليل

إنها أعلى درجات الوحدة

أن تسهر لأجل شخص

يسهر لغيرك ..

هكذا يصبح الحب صدقة جارية

حين تنتظر من تحب وهو على

ضفاف الغياب ..

وكيف أقول أحبكِ ؟

حين أنام .. وحين أصحو

وأنتِ ذهبتِ أدراج الغياب !

« ثمة شخصٍ في مكانٍ ما ينتظرك

حين تشعر أنكَ على عجلةٍ من البكاء ! »

صباحكِ أحبكِ

ومساؤكِ أحبكِ

وحين أنام ..

أحبكِ في الأحلام

حبكِ منارة ..

فحين تنكسر بوصلة قلبي

أراكِ في السماءِ

كبريقِ ضوءِ عند حافة الظلام

فإنكِ تُولَدِينَ ألف مرة ..

في الطريق والرصيف

وعمود الإنارة وشبابيك الانتظار

وفي عتمة الليل وبزوغ الفجر

وحتى حين أقول لكِ أحبكِ ..

تُولَدِين من رحمِ الكلماتِ

ولأنكِ جئتِ في العمرِ مرة

فإني أحببتكِ ألف مرة

مرة حين جئتِ ..

ومراتِ حين غبتِ

ولأن عينيكِ بحر ..

إني أحبكِ حتى الغرق

ولأنّ الحياة بعدكِ موتٌ جميلٌ

فإني أحبكِ حتى المماتِ !

حُب سيئ

ليس ثمّة حُبٍ سيء ..

ولكن هناك حبيب سيئ لا يصلح للحب

جاءت بعد أنْ تركوها

- أحبابها الوهميون -

جاءت حين أهلكها الفراغ

جاءت كي تنال وقتاً إضافياً

من المرح ..

قالت بملء الكذب : أحبك

صرفتُ النظر عنها

ولكن لم تكن لديّ القدرة

كي أصرفَ قلبي عنها !

قلت لها : أراكِ الآن بِوضوح

فحين غسلتكِ بالضوء

صرتُ أراكِ عارية من كل شيء

إلا من الخيانةِ ..

فالعُرى في الحب ..

هو أن تكون خالي المشاعر

وليس من الغباء أن تقع

في حُب إنسان لا يصلح للحب

الغباء أن تستمر في حُبه !

فثمة بشر مُقدراً لهم أن يكونوا

خارج حياتنا

قاطعتني ولغة البُكاء تتوسد

حنجرتها .. سـ تذكرني

حين يمتلئ صدرك بالغرباء

ستذكرني حين تغزوك الذكريات

ستذكرني حين تشتدُ وحدتكَ

ثم رحلت ..

قلتُ لها والكلمات تتبعها

كَسرب حمامٍ ..

« الشيء الوحيد الذي لا يستطيع الرجل

نسيانه في المرأة هو رجلٌ آخر كانت معه »

حين أقول أني أحتاجكِ ..

هذا يعني أني مُتعب إلى حد الأرق

إلى حد أن أتكور في زاوية الغرفة

كيتيم اقتطعوه من شجرةِ العالم

حين أقول أني أحتاجكِ ..

يعني أن أركض نحوكِ دون وعي

وأبكي علي صدركِ كالطفل

وأنتظركِ كي تمسحي دمعي بطرف قلبكِ !

حين أقول أني أحتاجكِ ..

يعني أن أفتش عنكِ في كل مكان

وأنا على يقين أني سأنجو من ضياعي

وأعلم أنكِ ستكونين عند حسن احتياجي !

حين أقول أني أحتاجكِ ..

أنا على ثقةٍ أنكِ ستنسفين كل موعدٍ

وتلقين بكلّ أشيائكِ المهمة عرضَ الحائط !

وتجيئين إلى صحراء صدري كغيمة ممطرة !

حين أقول أني أحتاجكِ ..

أنا أعلم أنكِ ستسرعين نحوي

وتسعفين قلبي من حشرجته

وتنصتين إلى أعماقي

وتستأصلين كراكيب الحزن

من عروق قلبي وذاكرتي !

الذي لا يقاسمك - وحدتك - حزنك - حتى ألمك !

لا تفكر أن تأخذه على محملِ الحب !

تجار كلام

قررت الرحيل

حين نضج الحب

وبلغت الأحلام رشدها

قررت حين اشتد الشوق

ونَبتت للحنين أنيابٌ !

وقبل أن ترحل

فتحتُ كل نوافذ

العتاب ..

وقلت :

لماذا قلتِ أحبك ؟

بينما أنتِ تتجهين

نحو الغياب !

لماذا قلتِ أحبكِ

وأنتِ ستنفيني

خارج حدود قلبكِ

وجدول أعمال ذاكرتكِ !

لماذا جعلتِني أحبكِ

وأفتحُ للأحلام ألف

باب

أتذكرينَ أحاديثنا

أم نسيتِ ؟

فتطلقين تنهيدةً طويلة

تُخبئ خلفها ألف قصيدةٍ

من الحُب والوفاء

وتقولين لي ببراءة الطفولة

أنا طفلتك التي وُلِدت من قلبك

ولو خيروني قبل مماتي

أين أُدفن لَقلت لهم

في صدرك !

قاطعتني

وتملأ وجهها

ابتسامة ساخرة

ثم قالت :

أتعلم لماذا الصمت حكمة؟

لأننا تُجار كلام !

وتقولين لي ببراءة الطفولة

أنا طفلتك التي وُلِدت من قلبك

ولو خيروني قبل مماتي

أين أُدفن لَقلت لهم

في صدرك !

قاطعتني

وتملأ وجهها

ابتسامة ساخرة

ثم قالت :

أتعلم لماذا الصمت حكمة؟

لأننا تُجار كلام !

ثم مشت ولم تترك

وراءها سوى غبار

رحيلها !

فتنهدت ..

ومات في صدري كلام !

وألفُ حكاية من غرام !

منفى

الحياةُ دونكِ منفى

والمنفى دونكِ موت

حين أرتدي ملابس أنيقة

وأرشُ على جسدي عطراً باريسياً

أهديتِني إياه ذات مناسبة حب

وأرصعُ حنجرتي بكلمات الحب

وأذهبُ إلى موعدٍ ذبلَ في جدولكِ

فهذا منفى

أن أناديكِ طيلة يومي ونومي

ويجرحني صمت قلبكِ المشغولُ

في حبٍ جديدٍ وحكاية أخرى

وتجيبني الوسائد نم أيها المغشوش

فهذا منفى

المنفى ليس أن تكون خارج العالم

المنفى الحقيقي هو أن تكون خارج قلب من تُحب.

قالت لي

قالت لي : لا تحمل في قلبكَ عليّ شيئاً

قلت لها : شيئاً واحداً فقط أحمله في قلبي

بنبرة مكسورة قالت لي : ما هو ؟

قلت لها : أنتِ فقط

أعيديني إليّ

بينما كنتُ وحيداً كغصن ..

أجلسُ بيني وبيني ..

أموت دون موت ..

أبكي دون صوت .

أحصي أحبابي الذين نسوني

وأصدقائي الذين سقطوا من عيني

ولا زالوا عالقين في قلبي وذاكرتي !

أشغلُ قلبي بأوجاع الآخرين كي أنسى

وجع غيابكِ ..

أحاول أن أطرد شبح حبكِ
الذي يقفُ على شبّاك عيني دون رحيل
ويطيل المكوث على أرصفة الذاكرة

أبحثُ عن شيءٍ يشفي مُرّ غيابكِ
أبحثُ عن أملٍ يخبرني أنني لا زلتُ
على قيدِ ذاكرتكِ كموعدٍ قريب
وأنكِ ستعودين ذات يوم.

كيف لي أن أنام
وأنا لستُ معي ؟
لا أُريدكِ أن تعودي إليّ
فقط أعيديني إليّ !

من أنتِ

من أنتِ ؟!

كي تغرق الوسائد

ويرتعش الجسد

في ليلٍ طويلٍ وحالكٍ

لا يعرفُ الرحمة !

من أنتِ ؟!

كي تموتي في الحياة

وتعيشين في الحلم !

من أنتِ ؟!

كي نُصبح حياتي « عجيناً »

يُشكله حزن غيابكِ ونسيانكِ !

من أنتِ ؟!

فالدمع لا يكفي

كي أبكي مرتين

والعمرُ لا يكفي

كي أموت مرتين !

والحياة لا تكفي

كي أعيش مرتين !

من أنتِ ؟!

حاضرةً في الغياب

وغائبةً في الحضور

وتتسربين من كل الجهات !

من أنتِ ؟!

فإني أشعرُ أنّ بيني وبينكِ والبكاء

صلة رحم !

ففي كل يوم أمارس الدمع وحدي

في أقبية الظلام !

نحن نبكي

لأنّ البكاء وسيلتنا الوحيدة

حين تبتلع الخيبة حناجرنا !

شيئاً من الضوء كنتِ

حين ودّعتِني لم تخبريني

كيف أنجو من مرارة الفقد

ومن سدمة الليل

وكيف أخبرُ تلك البومة

أنْ لم يعد شيءٌ يُميزها

مثلما تمتهن الانتظار

ومثلما تترصد المارة

ومثلما تَمكث على الغصن

أنا كذلك !

وأنني مثلها

أترقب العابرين

وأدسُ رأسي كُلما

مَرّ بي شخصٌ يشبهكِ !

وأنني قد أبدو أكثر غرابة منها

إذ أني أطيرُ كلما تذكرتكِ !

أما الشبه الكبير بيننا ..

أنها تقضي ما تبقى من ليلها

كئيبة ووحيدة ..

وأنا أسهرُ الليل

مكتوف الذكريات والوحدة !

بينما .. ليلتكِ يا صديقتي

تعيشينها مع أحبابكِ الجُدد

الذين تعلمين أنهم سيتركونكِ !

شيئاً من الضوءِ كنتِ

أدركتُ ذلك حين جئتِ

وأنا وحيدٌ في الظلام !

ولم تتركي لي خياراً

سوى أن أتسلق السماء

وأقطف ضوءَ نجمة !

كي أعيد النور

الذي سرقهُ هجركِ !

أحبكِ وحدكِ

(١)

في دُجى وحدتي قررت أن أنساكِ

فشيدتُ سقفي باللامبالاة وشيئاً من النسيان

قبضتُ على قلبي كي أخنق وجعَهُ وأستريح

جففت عيني منكِ ومن دموعها وكهل انتظارها

أسقطتُ كل ذكرياتكِ وما تبقى من أشياء تُذكرني بكِ

ثم دفعتها من شبّاك ذاكرتي إلى النسيان !

دون سابق نعاس قررت أن أنام

فرأيت صورةً منسيةً تحت وسادتي !!

فرفع قلبي راية الاستسلام

ثم حضنتُ صورتكِ وبكيت

كطفلٍ يتيمٍ يشتاق إلى أمه !

يا أنتِ .. إنني في كلّ مرةٍ أحاولُ نسيانكِ

وأنسلق جبالَ النسيان فتفشل روحي وتسقط إليكِ !

إنهم دائماً يقولون لي إن أردْتَ أن تنسى حُبك

استبدله بحبٍ آخر

وأنا أقول لهم إنكم أغبياء

ولم تفهموا الحب بعد

ففي الحب تدفع قلبك ثمن رحلتك

إلى من تُحب

وفي الحُب لا يوجد إياب !

هُنالك فقط ذهاب إلى من تُحب

يُحكم عليك بِما يُشبه الإقامة الجبرية !

فمنذ أن رأيتها رفعت مرساتي

وأبحرت إلى شواطئها

فإما أن أكون معها

أو أموت غرقاً على ضفافها.

وأحبكِ وحدكِ ..

(٢)

وحين أراكِ ..

يتساقطون جميعهم من عيني

كشجرة خريفية وتبقين وحدكِ ..

تركلين ما تبقى من أناس

نسوا أن يخرجوا من قلبي

ألم أقل لكِ يوماً ..

أنّ العين قصيدةٌ وبستان !

أنني حين أبكي غيابكِ تتساقط من عيني ورودٌ

فيصبح خدي بستاناً !

وحين أتذكركِ ..

يقرؤونكِ في عيني سطراً كتبته ذات خيبة !

« هُناك شخص لا تنتمي إليه ولكنك تشعر وكأنه أنت »

وفكرة ألا أنتمي إليكِ

مُدميةٌ إلى حد الموت

تزجني في مَكْمَنِ الجنون

فلا أريدُ أن أكون

« قيساً » كي لا يحرموني منكِ

ولا أريدُ أن أكون

« روميو » كي لا أموت دونكِ

أنا فقط أريد أن أحيا معكِ وبكِ

وأموت في مقبرة قلبكِ وحيداً !

وأحبكِ وحدكِ ..

(٣)

لم أكن أعلم أن بعض الأصوات موسيقى

ولم أكن أعلم أن بعض الصدور مُدناً

ولم أكن أعلم أن بعض البشر ترى بهِ كل البشر

إلا حين التقيتكِ أول مرة .

لم أكن أعلم أن النظر إلى بعض الوجوه انتحار

والنظر إلى عينيه حياة ..

ولم أكن أعلم أن النظر إلى العيون سفرٌ

لا ينتهي ..

ولم أكن أعلم أن ثمة قمرٍ على الأرض

إلا حين رأيتكِ أول مرة.

يا أحلام الطفولة فقد كبُرْتُ وكبُرْتِ معي

كيف أنساكِ يا بدايات المحبة ويا نهايات الإناث !

كيف أنساكِ وأنتِ في وجوه الآخرين وحائطِ ذاكرتي !

أتعلمين أتمنى أن تخذلني ذاكرتي ولا أنساكِ !

لأنكِ .. أنثى من خيال - أمنية - حلم - زمردة - أشياء لا تُشتر

أتذكرين ..؟

حين كُنا أطفالاً وقلتُ لكِ أن ثمة مدينة للأحلام ؟!

نعم : أنتِ مدينة الأحلام التي تحدثت عنها الأسطورة !

وأنا لازلتُ على قلبي القديم ..

ولازلتُ أحبكِ وحدكِ !

حرف وحتف

(١)

حين تكتب لا تخف من أن ينتقدك الآخرين

أنت تكتب ما لا يفهم وما لا يشعر به إلا أنت !

(٢)

عندما تشتاق إلى أحدهم،

ترغمك كل الأشياء على الكتابة.

(٣)

الكتابة تشبه كثيراً الأصدقاء

بل أكثر راحة وأكثر تحملاً فهي شيءٌ جميلٌ

يشبه المطر في عز الجفاف !

(٤)

أجمل ما في الكتابة أنكَ تستطيع أن تكتب عمّن تُحب

دون أن يعلم ؛ تستطيع أن تصارح الأوراق

بكل مرارة وخيبة دون التردد أو الخوف

(٥)

داخل كل إنسان رسالة - فكرة - إما تكون لأحدهم أو

للعالم.

(٦)

الكتابة نوع من أنواع البكاء الخفي

(٧)

المرارة هي :

أن يُغادرك مَن تُحب جسداً،

ويتركُ لك قلباً، وبقاياه في قبو ذاكرتك

(٨)

قمة الوفاء

ليس أن نكون معاً،

بل أن نُحب بعضنا حتى بعد فراقنا

(٩)

الذين يُقدمون لك وعودهم قبل أفعالهم،

هم الذين لا يوفون بالوعود.

(١٠)

ليس مؤلماً أن آتيك منكسراً

المؤلم أن تزيد انكساري وترحل !

(١١)

من المؤلم أن تكون أصدق مِما يتوقعون،

ويكونون هم أكذب مما توقعتهم

(١٢)

إنّ الفتاة حين تسمع كلمات جميلة

من رجل لا تربطها به شجرة العائلة !

هذا لا يعني أنها صارت ضمن سُكان قلبه

بل ربما أرادها أن تكونَ عابرة جسد !

(١٣)

ثمّة صديق تنجبهُ لك الحياة،

يكون أغلى من ذلك الأخ التي أنجبتهُ أمك.

(١٤)

الحب لا يعني أن ترى من تحبه شكلاً جميلاً

فالأعمى أيضاً يقع في الحب فيصاب بالعمى مرتين!

عمى العين وعمى القلب .. ففي الحب تُضيّع القلوب بصرها

(١٥)

لم يكن البُكاء احتكاراً على الموتى فقط،

فما أكثر الذين نبكيهم وهُم أحياء

فقط لأننا لا نستطيع أن نعيش معهم.

(١٦)

وفي كل يوم أكتشف «ثُقباً» آخر في قلبي،

لا يتسرب منه إلاّ أولئك الذين أحببناهم بصدق ..!

(١٧)

لا تفتح قلبك لأحدٍ آخر

بينما أنت لا تُريد أن يدخل أحدٌ إلى قلب مَن تُحب !

(١٨)

جميعنا في داخلنا أشياء

تودّعنا ولا تعود.

(١٩)

عندما تنوي الرحيل، لملم كل الوجوه وكل الصور وكل التفاصيل،

كي لا تعود مُتعللاً بشيءٍ نسيته.

(٢٠)

الذاكرة .. سفر دون رغبة

(٢١)

الحب هو كل ما يفارقنا وليس بالضرورة ما يستمر معنا إلى الأبد

(٢٢)

لا تحتفظ بالصور

إن لم تكن لديك القدرة على مواجهة الذكريات

(٢٣)

مَن أمِنَ الخيانة .. أساء الحب !

(٢٤)

قمة الحزن

أن تترك وراءك شيئاً تحبه وأنت في منتصف الوداع

ثم تلتفت إليه وفي عينيك دمعة مسجونة.

(٢٥)

من يغفر لك خطيئتك كثيراً

هذا لا يعني أن تُخطئ بحقه كثيراً كي يُسامحك

ففي الحب تكرار الخطأ وتكرار المسامحة

يعني الملل من هذه العلاقة.

(٢٦)

كيف أقول لكِ

في لغة الصمت أحبكِ !

(٢٧)

الورود جميلة ونحبها،

ولكنها لا تبقى معنا إلى نهاية الحياة،

كذلك هُم بعض الأصدقاء نحبهم

ولكننا لا نستطيع أن نبقى معهم طيلة الحياة

(٢٨)

مشكلتنا أن لا أحد يفهم احتياجنا وترجمة دموعنا

حتى أولئك الذين نُحبهم.

(٢٩)

نحن لا نخاف من الحب

بل من الذين نحبهم

(٣٠)

العظماء لم تنجبهم الطبيعة ولم ينجبهم الفراغ

أنجبتهم تلك المرأة التي تُقلّلون من قدرتها دائماً

(٣١)

لا تنس من تحب في زحام يومك

قل له «صباح الخير» فقط

كفيلة بأن تشعل به السعادة بقية اليوم.

(٣٢)

لا تؤذِ إنساناً أحببته

لأنك حتماً ستؤذي نفسك

(٣٣)

بعض الأصدقاء أوفى من « ذاكرتك »

يُذكرك بصلاتك وبدراستك وحتى بخطئك

وبعض الأصدقاء أسوأ مِما تتصور

تحمله في صدرك وهو يطعنك في ظهرك !

(٣٤)

حين تنام وأنت تحتضن خيبة أملك

لا تنس في الصباح أن توقظ أملك

وتترك خيبتك نائمة

(٣٥)

من كان لك عابراً .. كن له عابراً

(٣٦)

لا أحد يمنحك الحب والحياة غيرك

ولا أحد يحبك كما تحب ذاتك

فالجميع يبحث عن ما يُريده قلبه

وترتاحُ له نفسه

أنشغل في حب ذاتك

سيحبك العالم.

(٣٧)

حين تراني في أوج البكاء

لا أحتاج منك سوى

أن تفرد لي صدرك لا أذنك

فثمة كلام أكبر من أن نقوله

(٣٨)

الذاكرة لا تتعثر إلا بأولئك الذين أحببناهم بكل ما أوتينا من صدق

(٣٩)

لكي أكون صادِقاً معي

أنا أحبُّك أكثر مني

(٤٠)

وإن تناسينا لازلنا نسمع دبيب أحذيتهم

على قارعة القلب والذاكرة !

(٤١)

ما أجمل الذين يحبوننا

بتفاصيلنا بِقبحنا وسذاجتنا

ما أجملهم حين يُرمّمون انكساراتنا

لا يتركوننا شظايا مُبعثرة ثم يرحلون

(٤٢)

أكثر الكلمات بقاءً

هي التي في آخر اللقاء ..!

(٤٣)

إنّ أبشع ما تفعله مع الفقراء

أنْ تُشعرهم بأنهم صدقة جارية

(٤٤)

يجبُ علينا إدراكُ أنّ

الاختلاف بالرأي لا يفسد صداقتنا

بل يُنمي عقولنا

(٤٥)

من الجنون

أن تصرخ في وجه من تحب

فتؤذي نفسك !

(٤٦)

ما أقسى أولئك الذين يضعوننا على دكة الاحتياط

ينشغلون بِغيرنا يتركوننا في وحدتنا وزحام حنيننا

وحين يشتد ألمهم ويجيئهم زحامهم يتذكروننا.

(٤٧)

إننا لسنا بالحب فقط نحيا

ولكننا دونه نموت !

(٤٨)

الذي لا يفهم حزنك ..

لا يستطيع إسعادك

(٤٩)

إنّ العبث واستدراج لحظة

حزينة / قديمة من الذاكرة

عقوبة تدفع ثمنها بُكاء طويل

في مساءٍ أطول.

(٥٠)

أن أحبك ..

يعني أن تنبت في قلبي

وتنمو في صدري ..

أن أحبك ..

يعني أن أرى فيك

الأشياء .. الأسماء .. وكل الأصدقاء

(٥١)

في بعض الأحيان :

نحن نغفر لهم

لأننا بحاجة إلى من يغفر لنا.

عبر عن استيائك لمن تحب

ولكن بطريقة لطيفة .. عذبة .. جميلة

حتى يتقبلها .. يشعر بها .. وتؤثر فيه

أن تعامل بحب .. تكسب من تحب

(٥٣)

لا أعلم كيف يسمعون الناس صوتكِ

وهم يدركون أن الموسيقى حرام !

(٥٤)

أولئك الذين يسهرون لأجلك ..

ينتظرونك .. يشتاقون إليك ..

تمنَّ لهم أمنية جميلة

فاجئهم برسالة .. باتصال

إنهم ينظرونك ..

بينما أنت تتساهم !

(٥٥)

أن أحبك ..

يعني أن تنبت في قلبي

وتنمو في صدري

أن أحبك ..

يعني أن أرى فيك

الأشياء .. الأسماء .. وكل الأصدقاء

(٥٦)

أن تترك وطنك ..

أرحم من أن تترك امرأة أحبتك

(٥٧)

أحياناً يلزمنا حب جديد حتى ننال قسطاً من النسيان

هُم لا يأتونَ حتى ولو سَمِعوا بكاءَ
الحروفِ وارتعاشَ الورق
هُم لو كانوا يُريدون البقاءَ
لمْ يَرحلُوا منذُ البداية